الترجمة في العصر العباسي
- حنين بن إسحاق نموذجا-

خثير عبد ربي
مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن
جامعة وهران1 - الجزائر -

ملخص:

يعد بيت الحكمة الذي أسسه العباسيون، من أعظم المراكز العلمية شأنا، لما احتواه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات. لقد كان مركزَ نشاط علمي دائب، لاسيما بعد أن ألحقت به العشرات من المكتبات وانضم إليه العشرات من العلماء والمترجمين من مختلف الأجناس والملل. لقد عمل، في هذا البيت، عدد كبير من المترجمين من أمثال حنين بن إسحاق الذي فاق غيره في التأليف والترجمة والمراجعة والتصحيح.

كلمات مفتاحية: ترجمة؛ العصر العباسي؛ تفاعل؛ حضارة؛ بيت الحكمة، حنين بن إسحاق؛ منهجية؛ معنى.

I- التفاعل العرقي والحضاري في العصر العباسي:

لما اعتلى العباسيون عام 749م كرسي العرش تركوا دمشق وأسسوا بغداد عام 762م في خلافة أبي جعفر المنصور. وقد أدى توسع الدولة - بعد فتح سوريا وبلاد ما بين النهرين ومصر- إلى دخول عناصر أجنبية متزايدة جعلت من بغداد عاصمة بني عباس محورا تتلاقى فيه الثقافات الأجنبية ومركزا تعليميا عالميا. فلقد أصبحت هذه المدينة من "أعظم المدن التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة... لم يكن لها في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها وتميز خواصها وعوامتها"[1]

وفي الحقيقة لقد أدى اتساع رقعة الفتوحات إلى ظهور جيل من أبناء الشعوب غير العربية التي انضوت في الدولة الإسلامية. اعتنقوا الإسلام وأجادوا العربية فكتبوا بهذه اللغة ما كان آباؤهم يكتبونه بلغاتهم الأصلية ودونوا العلوم العربية على النحو الذي كانت العلوم تدون عندهم. لقد أثار الإسلام في هذه الشعوب حماسة العلم والمعرفة والتسامح الديني. والدليل على ذلك أنه لم يمض وقـت طويل حتى سادت اللغة العربية معظم هذه الشعوب المغلوبة وأصبحت اللغة العامة لجميع هذه الشعوب العريقة حضاريا، يتفاعل الفكر الإسلامي مع الأفكار المتحضرة والمتقدمة لهذه الأمم، فنتج عن ذلك بواكير حضارة راقية، أخذت تتبلور في العصر الأموي ثم اكتسبت شكلها النهائي في العصر العباسي[2].

ويشهد المؤرخون أن دولة بني عباس قد بلغت أوج قوتها في عهد الرشيد والمأمون اللذين أقبلا على ترجمة كل ما عثر عليه من مخطوطات هندية ويونانية وفارسية. فلقد شهدت البلاد - خلال هذه الفترة- يقظة فكرية وحضارية لم يعهد لها مثيل في تاريخ الإسلام. فلم يمض أكثر من ثلاثة أرباع القرن الأول على تأسيس بغداد حتى تم للعالم الإسلامي أن يقف على أهم كتب أرسطو وأفلاطون وسقراط الفلسفية وعلى قائمة من كتب جالينوس الطبية وطائفة من الدراسات العلمية الهندية والفارسية.

وقد لا نبالغ إذا قلنا إن العصر العباسي يتميز بالخلفاء والأمراء و الوزراء الذين أولوا اهتماما بالغا للترجمة، بل تنافسوا فيها وأراد كل واحد منهم أن يسبق الآخر. فالخليفة المنصور -مثلا- كان يطلب من إمبراطور بيزنطة أن يرسل إليه كتب الطب من أجل ترجمتها إلى العربية[3].

أما هارون الرشيد فقد أمر بترجمة كل ما عثر عليه في غزواته من كتب البيزنطيين واليونان ومنح في سبيل ذلك الأموال والهبات. ولما ولي المأمون الخلافة بعث رسله إلى آسيا الصغرى وقبرص والهند للبحث عن

الكتب وجند المترجمين لترجمة ما حمل إلى بيت الحكمة من كتب يونانية وسريانية وفارسية[4].

ويقسم الدارسون حركة الترجمة في العصر إلى ثلاث مراحل *:

* **المرحلة الأولى:** تمتد من خلافة المنصور إلى نهاية حكم الأمين (754-813). وتميزت بترجمة الكتب العلمية (الطب، الفلك، الرياضيات). ويذكر أن المنصور كان يهتم بنقل الكتب الطبية الأجنبية إلى العربية بسبب معاناته من مرض المعدة حتى أنه استدعى جورجيوس بن بختيشوع ليكون طبيبه الخاص. أما هارون الرشيد فلقد كان مولعا بالعلوم اليونانية. والدليل على ذاك أنه أوفد علماءه في أرجاء الإمبراطورية الرومانية ليشتروا المخطوطات الإغريقية. ويقال إنه عندما افتتح عمروية وأنقرة انتخب من أبنائها فريقا من العلماء والمترجمين وجعلهم في حاشيته وطلب منهم أن يختاروا عيون الكتب في ميدان الطب والفلسفة والفلك قصد ترجمتها إلى العربية[5].

* **المرحلة الثانية:** تغطي المرحلة التي حكم فيها المأمون، أي أنها تمتد من 813م إلى 832م وتتميز بترجمة كتب الرياضيات والفلسفة والمنطق. ومن المعروف أن الخليفة المأمون كان يميل بطبعه إلى كتب الحكمة ولاسيما كتب الفلسفة والمنطق لأنه كان مؤيدا لسلطان العقل وحرية الرأي. فلقد أكمل ما بدأ به جده المنصور وأمر بترجمة جميع الكتب الفلسفية لأرسطو وغيره. ويشير المؤرخون إلى أنه عندما انتصر على الروم عام 820م طلب من ملك الروم تيوفيل أن يعطيه ما لديه من كتب أفلاطون وأرسطوطا ليس وأبقراط وإقليدس وغيرهم من الفلاسفة بدل الجزية فوافق الملك على ذلك واعتبره مكسبا كبيرا. ويبدو أن المترجمين المهرة قد ظهروا خلال هذه الفترة (العصر المأموني) نذكر منهم: **حنين بن إسحاق ويعقوب الكندي وثابت بن قرة الحراني**.

يصف القاضي أبو القاسم أحمد الأندلسي واقع الحركة العلمية في عصر المأمون فيقول: "لما أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون، تمم ما بدأ به المنصور، فأقبل على طلب العلم في مواضعه، واستخرجه من معادنه، بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا، وسألهم صلته بما لديهم من كتب أفلاطون أرسطوطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وغيرهم من الفلاسفة، فاستخار لها مهرة التراجمة، وكلفهم إحكام ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن ثم حث الناس على قراءتها ورغبهم في تعلمها،فنفقت سوق العلم في زمانه وقامت دولة الحكمة في عصره "[6].

* **المرحلة الثالثة:** وتمتد من عام 913م إلى نهاية القرن العاشر الميلادي. وتتسم بقلة الاهتمام بترجمة الكتب الفلسفية وبزيادة العناية بترجمة الكتب الأدبية وخصوصا من أدب الفرس... ومن أبرز مترجمي هذه الفترة: **يحيى بن عادي ومتى بن يونس وسنان بن ثابت**[7].

وفي الحقيقة إن خلفاء بني عباس قد استفادوا كثيرا من المدارس المشهورة في الترجمة والتي لم تكن بعيدة عنهم، نذكر منها-على سبيل المثال- مدرسة قنسرين التي تقع على ضفة نهر الفرات ومدرسة جند يسابور التي اهتمت بترجمة الكتب اليونانية والسريانية ومدرسة حران التي اهتمت بترجمة كتب الرياضيات والفلك. ففي سوريا كانت الأديرة مرابع للثقافة اليونانية وفي جند يسابور أنشأ كسرى أبو شروان عام 531م أكاديمية اختصت في الفلسفة أما في حران فلقد ازدهرت الدراسات الفلكية والرياضية[8].

مترجمو السريانية	مترجمو اليونانية
- ماسرجيش اليهودي	- يحيى بن البطريق
- عيسى بن ماسرجيش	- الحجاج بن مطر
- شهدي الكرخي	- عبد المسيح بن ناعمة
- ابن شهدي الكرخي	- سلام أبرش
- أيوب الرهاوي	- حبيب بن بهريز
- يوحنا بن بختيشوع	- زرديا بن ماتجوه الحمصي
- منصور بن هاناس	- هلال بن أبي هلال الحمصي
- المرلاحي	- أبو نصر بن أوي بن أيوب
- دار يشوع	- أبو نوح بن الصلت
- أيوب بن القاسم الرقي	- جيرن بن الرابطة
- متى بن يونس	- موسى الخالد
	- تيوفيلي
	- الشملي
	- عيسى بن نوح
	- إبراهيم القويري
	- داريع الراهب
	- هيابثيون
	- صليبا

	- سمعان **- يوحنا بن يوسف** **- قسطا بن لوقا البعلبكي** **- حنين بن إسحاق** **- إسحاق بن حنين** **- عيسى بن يحي** **- إبراهيم بن عبد الله** **- يسوع بن بهريز** **- إبراهيم بن بكس**

هذا الكلام يعني أن هذه المدارس التي استفاد منها العباسيون غدت مراكز **إشعاع للحضارة اليونانية** واشتهرت بالفلسفة والطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء. وقد جاء نشاطها مصحوبا بنشاط في الترجمة، إذ حرص السريان على نقل الكثير من الكتب اليونانية إلى اللغة السريانية، التي كانت بمثابة اللغة العالمية للمعرفة والعلم في منطقة الشرق الأدنى قبل ظهور الإسلام. ففي قسرين وحران وجند يسابور والإسكندرية تمتد جذور الثقافة الهلينسية، وتتنافس حضارات اليونان والرومان مع حضارات مصر والعراق والشام القديمة.

ومهما كان من أمر فإن حركة الترجمة والنقل، في العصر العباسي، جاءت نتيجة ثمرة للتفاعل الحضاري بين الشعوب المختلفة. فلقد استطاعت هذه الحركة أن توفر للعرب المسلمين ما توفر للأمم الأخرى من علوم وآداب وفلسفات، فتحت لهم آفاقا جديدة من المعرفة وأسسا متينة لحضارة جديدة.

واللافت للنظر أن هذه الحركة قدمت أيضا إلى اللغة العربية خدمات عديدة، إذ أغنتها بالمفردات والمصطلحات المتعلقة بمختلف العلوم والمعارف.

كان المترجمون، ففي العصر العباسي، ينتمون إلى ملل ونحل مختلفة، فيهم المسلمون والنصارى وفيهم الصابئة والأنباط. وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم ويجزلون لهم العطاء ويرغبونهم بشتى الطرق لكي يستفيدوا منهم في الترجمة وشرح الكتب العلمية التي يترجمونها ووضع الاصطلاحات لها. وهذه قائمة بأهم المترجمين المهرة الذين خدموا الثقافة العربية الإسلامية في العصر العباسي:

II- بيت الحكمة:

يعد بيت الحكمة الذي أسسه العباسيون، من أعظم المراكز العلمية شأنا، لما احتواه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات، أسسه الخليفة أبو جعفر المنصور (135هـ-158هـ) وجمع فيه أهم الكتب التي نقلها مترجموه إلى العربية، ولما جاء الخليفة هارون الرشيد (170هـ-139هـ) وكان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة وترجمة كتبها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية أضاف إلى خزانة جده المنصور، ما اجتمع عنده من الكتب المترجمة والمؤلفة، فتوسعت الخزانة (المكتبة) وصارت عدة أقسام لكل منها مسؤول يقوم بالإشراف عليها.[9]

ولما تولى الخلافة عبد الله المأمون (198هـ-218هـ)، وكان شغوفا بعلوم الحكمة، وجه همه إلى توسيع دوائرها المختلفة، فأرسل في طلب الكتب والمخطوطات من مختلف الأقطار والأمطار. وقد اجتمع لديه عدد كبير منها واختار لها المترجمين من اللغات المختلفة: اليونانية والسريانية والفارسية والعبرية والقبطية والهندية... فتوسع بيت الحكمة وازداد عدد كتبه بما يضاف إليه من الكتب المختلفة التي يؤتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية

وجزيرة قبرص وما كان يجمعه السريان من كنائسهم وأديرتهم في الشاتم وبلاد الجزيرة.

يمكن القول، إذن، إن بيت الحكمة، في عهد المأمون قد تحول إلى مركز نشاط علمي دائب، لاسيما بعد أن ألحقت به العشرات من المكتبات وعدة مراصد للفلك[10] وانضم إليه العشرات من العلماء والمترجمين من مختلف الأجناس والملل. ومن المعروف أن الخلفاء قد أوقفوا الأموال الطائلة عليه ووضعوا جهازا كاملا من الموظفين الذين يشرفون عليه ويقدمون الخدمات المطلوبة منه[11].

لقد عمل، في هذا البيت، عدد كبير من المترجمين منهم يوحنا بن البطريق والحجاج بن مطر وقسطا بن لوقا وغيرهم. وكان هؤلاء المترجمون ينقسمون إلى قسمين:

- الأول، يترجم مباشرة من الفارسية واليونانية والهندية إلى العربية.
- والثاني، يترجم من لغة أجنبية إلى السريانية ثم يقوم مترجمون آخرون بترجمة هذه القول إلى العربية. وأحيانا نجد بعض المترجمين غير ملم إلماما جيدا بالعربية فيأتي مترجمون آخرون لمراجعة هذه الترجمات وتصحيحها[12].

ويؤكد بعض الدارسين على أن هذا البيت كان مكونا من عدد كبير من الغرف يمتد بينها أورقة طويلة، يقوم فيها عمل منظم. وتنقسم هذه الغرف أقساما عدة تبعا للعاملين فيها مثل قسم التأليف وقسم الترجمة وقسم البحث الفلكي. وقد خصصت غرف للمترجمين وغرف للنساخ وأخرى للمجلدين والوراقين[13].

وتبدو أهمية بيت الحكمة في الإمكانيات والأجواء المهيأة لذوي المواهب من العلماء والمفكرين الذين عكفوا على وضع مختلف المؤلفات في شتى أصناف العلوم العقلية منها والعلمية. فقد استفاد من بيت الحكمة ومواظبة البحث والتأليف فيه عدد كبير من مشاهير العلماء والفلاسفة

والمؤرخين، على رأسهم الرياضي الشهير محمد بن موسى الخوارزمي مؤسس علم الجبر، واللغوي الشهير الأصمعي صاحب تاريخ الملوك والنحوي القدير الفراء مؤلف في أصول النحو[14].

واللافت للنظر أن المسيحيين واليهود قد احتلوا مكانة مرموقة في هذا البيت العلمي إذ أعطيت لهم الفرص المتاحة نفسها لكل إنسان يسعى إلى نشر العلم في المجتمع، لا فرق بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى إلا بالعمل الصالح. والدليل على ذلك أن المسيحيين واليهود قد تولوا أرفع المناصب السياسية والاجتماعية والعلمية خلال هذه الفترة...

وخلاصة القول إن بيت الحكمة قد أدى دورا كبيرا في هيمنة فكر أرسطو وإبقراط جالينوس وبطليميوس على النفوس المستنيرة في بغداد. وفي خضم هذه الحركة برز حنين بن إسحاق الذي فاق غيره في التأليف والترجمة والمراجعة والتصحيح.

حـــنـيـن بن إسحـــاق:

1- حياته: هو أبو زيد حنين (Johannitius في الكتب اللاتينية) بن إسحاق ألعبادي[15]، أشهر مترجمي العصر العباسي، ورائد من رواد العلوم الطبية. ولد بالحيرة[16] عام 194هـ/809م وكان أبوه صيدلانيا بها، مما أتاح له الفرصة مبكرا للاهتمام بالعقاقير[17] والطب. وبقي على النصرانية دين مواليه العباد إلى آخر عمره. ويؤكد العديد من الدارسين أنه نشأ في الحيرة (وليس في بغداد) وتعلم مبادئ العلوم فيها وتمكن من السريانية لغة كنيسته حتى أنه لبس الزنار. ثم درس الفارسية وصناعة الطب في أكاديمية جند يسابور المشهورة في خرزتان ببلاد فارس. وكانت معهدا أنشأه سابور الثاني أحد ملوك بني ساسان.

وفي بغداد لزم حنين بن إسحاق الطبيب الشهير يوحنا بن مأسويه[18] ثم درس في البصرة على الخليل، أعظم علماء العربية وأشهرهم. وقد استطاع أن يتخلص من ركاكة لغته المشوبة بالألفاظ السريالية. ويشهد الباحثون أنه برع في العربية معتمدا في دراستها كتاب "العين"...

سافر حنين إلى القسطنطينية لإكمال دراسته الإغريقية حوالي عام 822م. وقد استطاع أن يتقن لغة اليونان اتقانا كاملا[19]. ولما عاد إلى بغداد كان قد اكتسب ثقافة رفيعة يستطيع أن يناقش بها أعظم المتعلمين في العاصمة العباسية. فلقد امتلك زمام أربع لغات: السريانية والعربية والفارسية واليونانية، وهو ضليع بصناعة الطب مع الإلمام بالعلوم الأخرى الشائعة آنذاك.

ولم يلبث المأمون بعد أن ذاع صيت حنين أن أختاره رئيسا لبيت الحكمة وأولى إليه الإشراف على ترجمة كتب الطب والفلسفة والمنطق. يقول الأستاذ أحمد أمين:

"أتصل [بعد استقراره في بغداد] بالمأمون وعين في بيت الحكمة الذي كان يزخر بالكتب اليونانية التي نقلت من آسيا الصغرى ومن القسطنطينية، فأخذ حنين يترجم منها إلى السريانية أولا ثم إلى العربية....و لم يكتف بما جمع في بيت الحكمة بل رحل في نواحي العراق وسافر إلى الشام والإسكندرية لجمع الكتب النادرة... كان يترجم بنفسه ويشرف على جماعة تعمل بإرشاده... وكان يضع أيضا الشرح لما يترجم ويلخص المطولات ويصحح تراجم السابقين... وعلى الجملة كان يمثل حركة علمية دائمة[20].

خلف حنين بن إسحاق وراءه ثروة فكرية هائلة تمثلت في ترجماته التي بلغت **مائتين وستين كتابا**، وفي مؤلفاته التي تجاوزت **ثمانين مؤلفا**. فلقد ترجم كل مؤلفات جالينوس في الطب والفلسفة بالإضافة إلى مؤلفات أخرى لأبقراط وأوربياسوس ودسقوريدس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم.

وقد جمع المستشرق الألماني كارل بروكلمان قائمة بأهم أعماله المؤلفة والمترجمة[21] نذكر منها على سبيل المثال، لا الحصر:

مــن مؤلــفــاتــه:

- كتاب المدخل في الطب ترجم إلى اللاتينية بعنوان:
  Isagoge Johanniti in Tegni Galeni
- مسائل في الطب للمتعلمين.
- كتاب في أوجاع المعدة.
- مختصر تاريخ الكيميائيين.
- مقتطفات من رسالة عن المذنبات.
- عن الفضائل وما يقابلها من الرذائل.
- كتاب آداب الفلسفة.
- المدخل الكبير إلى علم الروحيات.
- كتاب خواص الحجر.
- في اختيار أدوية العين.
- ذخيرة الأطباء.
- امتحان الأطباء.
- مختصر في تاريخ الكيميائيين في الضوء وحقيقته.

تــرجــمــاتـــه:

- التوراة عن الترجمة السبعينية.
- كتاب الجمهورية لأفلاطون.
- كتاب النواميس لأفلاطون.
- مختصرات لمحاورات أفلاطون.
- القياس لأرسطو.

- كتاب السماء والعالم لأرسطو.
- ما بعد الطبيعة لأرسطو.
- مسائل مشكلة لأرسطو.
- الفراسة لأرسطو.
- كتاب الأربعة لبطليموس.
- كتاب الفصول لأبقراط.
- مقالات في التشريح لجالينوس.
- كتاب المزاج لجالينوس.
- أسباب المرض لجالينوس
- مسائل في الطب لجالينوس.

2- منهجية حنين في الترجمة:

كان حنين بن إسحاق من أبرز المترجمين في العصر العباسي الذين يتقنون عدة لغات. وكان يقوم شخصيا بترجمة المؤلفات اليونانية إلى السريانية أو العربية أو يأمر تلامذته بترجمتها ثم يكلف نفسه عناء مراجعتها وتصويبها. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو:

ما هي المنهجية التي اعتمدها في ترجمته؟ وكيف استطاع أن يوفق في علمه؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، لابد من الإشارة إلى الملاحظات التالية:

- إن حنين بن إسحاق كان يترجم- في كثير من الحالات- النص اليوناني إلى السريالية أولا ومنها إلى العربية ثانيا. ويبدو أن هذه الطريقة تسهل عليه الترجمة باعتبار أن السريانية هي لغته الأم ولأنها لغة اقتبست - خلال قرون- مصطلحات يونانية كثيرة. ولا يستبعد بعض الدارسين أن هذه الطريقة التي استخدمها حنين في النقل في المرحلة الأولى من اليونانية إلى السريانية وفي

الثانية من السريانية إلى العربية- على الرغم من إتقانه للغة العربية- تعود إلى عدة أسباب:

- الرغبة في الإسراع في إنجاز أكبر عدد من ترجمات الكتب.
- فتح المجال أمام المترجمين الذي يتقنون اللغتين السريانية والعربية.
- الرغبة في نشر اللغة السريانية على نطاق واسع.

• إن الدائرة التي كان يعمل بها حنين في بيت الحكمة واسعة ضمت عددا كبيرا من المترجمين الذين يعملون تحت إشرافه. كان يختار لكل واحد من أولئك المترجمين نوع الكتب التي يترجمونها، ثم يفتح ما استغلق عليهم من ألفاظها، ويصحح من يجده في ترجماتهم من أخطاء. وكان من بين أولئك المترجمين أبن أخته حبيش بن الأعسم وموسى بن يحي بن إبراهيم واصطفى بن باسيل وموسى بن خالد وغيرهم.

1/- تـوزيع العمـل:

كان العمل في بيت الحكمة منسقا تنسيقا بديعا . فقد كان المترجمون ينقسمون إلى عدة أصناف:

- صنف ينقل من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية رأسا.
- صنف لا يحذق جيدا اللغة العربية لكنه يتقن لغتين أجنبيتين اتقانا كاملا كأن يحذق اليونانية والسريانية أو السريانية والفارسية. فمثل هذا الصنف يترجم من اليونانية إلى السريالية أو عنها إلى الفارسية. حتى إذا ما انتهى من عملية النقل هذه، تولى مترجمون من الملمين بإحدى هذه اللغات ترجمة ما تم نقله إلى اللغة العربية. ولذلك فإن كثيرا من المصنفات اليونانية لم تترجم إلى اللغة العربية مباشرة وإنما ترجمت إلى السريانية أو الفارسية ثم نقلت مجددا عن هاتين اللغتين إلى اللغة العربية[22].

ومن المعروف أن حنين بن إسحاق قد تولى رئاسة بيت الحكمة طيلة عهدي المأمون والمعتصم وحتى عصر المتوكل. وقد نهض بهذه المهمة على أحسن وجه وأحاط نفسه بعدد من المترجمين الذين دربهم على هذه الصنعة خير تدريب. ومن المترجمين الذين عملوا في بيت الحكمة وكانوا ينقلون عن اليونانية أو السريانية: إسحاق بن حنين وحبيش بن الحسن ويحي بن أبي المنصور وحبيب بن بهريز وقسطا بن لوقا...

هذا الكلام يعني أن حنين بن إسحاق كان يعمل مع فرقة من المترجمين. يقوم هو بترجمة مخطوط معين ويكلف تلاميذه بترجمة مخطوطات أخرى على أن يتولى المراجعة والتدقيق أي أن يراقب كل ترجماتهم بعد الانتهاء منها... كان يختار لكل واحد من المترجمين الذين يعملون تحت إشرافه نوع الكتب المبرمج للترجمة ثم يراقب ترجمتهم عن كثب.

2/- مرحلة تحقيق النصوص:

يؤكد العديد من الدارسين العرب والأجانب على أن حنين بن إسحاق قد سلك - في عمله الترجمي- منهجا علميا يشبه المنهج الذي يتبعه المحققون في العصر الحديث. كان يبذل جهدا معتبرا من أجل جمع أكبر عدد يستطيعه من نسخ الأصل الذي يريد ترجمته إلى اللغة العربة[23].

كان إذن، يسعى، إلى تحقيق صحة النص الأصلي قبل الشروع في الترجمة:

- يبحث دائما عن النسخ العديدة للكتاب الذي يرغب في نقله إلى العربية لأن التصحيف كثيرا ما يقع في النسخ.
- يقرأ المخطوطات المختلفة للنص الواحد يتمعن ثم يعمل على مقاربتها، مقابلا بين عبارات كل نسخة وذلك بغية الوصول إلى النص المنشود أو "النسخة النموذجية".

يقول حنين عن نفسه:

"ترجمت كتاب "الفرق" لجالينوس وأنا شاب من نسخة يونانية مشوهة. ولما وصلت إلى سن الأربعين، طلب مني تلميذي حبيش أن أصلحه (أي المخطوط اليوناني) بعد أن كنت جمعت قدرا من المخطوطات...

قارنت جميع هذه النسخ من أجل اعتماد نص صحيح ثم قارنت هذا النص مع ترجمتي الأولى السريالية من أجل تصحيحها وتلك عادتي التي اتبعها في كل ما ترجمته"[24].

يمكن القول، إذن، إن الهدف من تجميع عدة مخطوطات للكتاب نفسه يتمثل في تحديد النص الصحيح قبل إخضاعه لعملية الترجمة. فما المقارنات الدقيقة بين المخطوطات المختلفة والقيام بعملية التقاطع بين النصوص إلا من أجل تحديد النص الأصلي السليم.

ويؤكد العديد من الدارسين على أن حنين بن إسحاق كان شديد التمحيص والتدقيق في أعمال الترجمة، لا يكتفي بالاعتماد على نص واحد... وكان يكرر قوله: "وددت دوما لو كانت لدي ثلاث نسخ يونانية من كل كتاب ليتسنى لي أن أقابل فيما بينها وأستخرج الأصل الصحيح منها"[25].

3/- الميل إلى الترجمة المعنوية:

سبقت الإشارة إلى أن العمل في بيت الحكمة كان منسقا تنسيقا بديعا. فقد كان المترجمون ينقسمون إلى عدة أصناف: صنف ينقل من اللغة الأجنبية التي يتقنها إلى اللغة العربية رأسا، وصنف آخر لا يذق اللغة العربية لكنه متمكن من لغتين أجنبيتين مثل اليونانية والسريانية، ينقل مباشرة إلى هذه الأخيرة، على أن يتولى مترجمون آخرون الترجمة إلى اللغة العربية. ولذلك فإن كثيرا من المصنفات اليونانية لم تترجم إلى اللغة العربية مباشرة، وإنما جرت ترجمتها إلى السريالية ثم نقلت إلى العربية مجددا.

وكان الأسلوب الذي يعتمده المترجمون في ذلك الوقت يستند إلى إتباع واحدة من طريقتين ما تزالان شائعتين حتى الوقت الحاضر:

الطريقة الأولى: تعتمد الترجمة الحرفية الدقيقة أي ترجمة العبارات كلمة فكلمة والتقيد بالألفاظ الأصلية تقيدا تاما وعدم التصرف أو الخروج على هذه القاعدة.

أما الطريقة الثانية: فإنها تعتمد على ترجمة معنى العبارة دون التقيد باللفظ الأصلي.

والجدير بالتنبيه أن بهاء الدين ألعاملي قد أتى على وصف هاتين الطريقتين فقال:

"قال الصلاح ألصفدي: وللتراجمة في النقل طريقان: أحدهما طريق "يوحنا بن البطريق" و"ابن النعامة ألحمصي" وغيرهم وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية، وما تدل عليه من المعنى، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى، فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه طريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات يونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني: أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما.

والطريق الثاني، طريق حنين بن إسحاق والجوهري وهو أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها، وهذا الطريق أجود ولهذا، لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب..."[26].

لقد عرف حنين بن إسحاق بميله إلى الترجمة المعنوية أي أنه كان يقرأ الجمل باللغة الأجنبية ويحاول أن يفهمها بدقة ثم يتم -بعد ذلك-التعبير

عنها باللغة المنقول إليها. وهو لا يشترط أن يكون عدد الكلمات في الجملتين متطابقا، لأن المهم عنده هو نقل المعنى السليم إلى المتلقي.

ويبدو أن حنين قد نجح في مهمته لعدة أسباب:

- لأنه كان قادرا على الإحاطة الكاملة في مادة الموضوع المنقول أي أنه كان متخصصا في المادة التي يترجم منها خصوصا في ميداني الطب والفلسفة. وعليه لم يهتم بالترجمة الحرفية التي تصيب اللغة بالالتواء والاضطراب في التعبير وإنما بالترجمة المعنوية التي تعنى بروح النص وترسم المعاني بالذهن.

- لأنه لم يحرف ما كان يقرأه وإنما كان أمينا في نقله: فلقد عرف بالتزام الدقة وتوخي الأمانة...[27] يقرأ عدة مرات ثم يحرر الصياغة ولا يلبث أن يعيد النظر في ترجمته مرارا وتكرارا.

ومن الواضح أن هذه الطريقة أقرب إلى الصحة والمنطق والجودة. فهي تدل دلالة واضحة على قوة الناقل في الفهم وقدرته على الصياغة دون المساس بالمعنى. يقول أحمد أمين:

"ترجمة حنين أفضل ودقتها أعظم ويخيل إلى الإنسان أنها ليست نتيجة مجهود صادق فقط ولكنها نتيجة تمكن وثيق من اللغة وحسن تعرف في مذاهبها. ويتجلى هذا في سلامة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المواهبية في التعبير مع الإيجاز...[28]

وفي الحقيقة لقد أنجز حنين ترجماته بتفوق لأنه لم يكن لغويا قديرا فحسب وإنما كان أيضا مختصا في المجالات التي يترجم عنها. كانت هذه الترجمات أكثر سلامة لغويا، تعطي الانطباع بأنها نتيجة امتلاك سلس وعميق للغة. يقول هذا المترجم شاكيا من نفاق بعض أصدقائه الذين كانوا يدسون عليه لدى الخليفة:

"لقد رأوا أنني متفوق عليهم بعلمي وعملي، وكذلك بترجمتي للعلوم الشهيرة من لغات لا يملكون ناصيتها أولا يعرفونها، وذلك بأسلوب نقي ودون غلط أو خطأ من وجهة نظر النحويين العرب ولا يجدون أي خطأ أو أي إعراب أو دلالة غير صحيحين، وضمن أسلوب عذب جدا وواضح جدا يستطيع فهمه غير المختص بالطب والذي يجهل دروب الفلسفة"[29].

خاتمة:

لقد تفوق حنين بن إسحاق، خلال حياته، في ميداني الترجمة والتأليف وحقق أمجادا عظيمة في علوم الطب والفلسفة واللغة. ويؤكد الدارسون على أنه ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس **خمسة وتسعين** كتابا وترجم إلى العربية منها **تسعة وثلاثين**، فضلا عن أنه راجع العديد من الترجمات التي أنجزها تلاميذه.

واللافت للنظر أن حنين كان حريصا على تأدية المعنى بدقة، فاهما لمقتضيات النشر العلمي. فبفضله، تبوأ الطب الإغريقي مكانته في التراث العربي: لقد انغمس بشدة في ترجمة طب جالينوس حتى ألف أسلوبه وأصبح إذا قرأ نصا استطاع أن يحكم هل هو من وضع جالينوس أو مدسوس عليه.

لقد التزم حنين الأمانة في نقله للكتب اليونانية إلى العربية. كان حرصا على الدقة ووضوح المعنى بدرجة لم يصل إليها أحد من أقرانه. كان يدقق في قراءة النص الأصلي ونص الترجمة ثم يصحح ويراجع ولا يتردد أن يعيد صياغة النص إذا وجد فيه نقصا. فهو الذي أوضح معاني كتب الأطباء والفلاسفة اليونان وكشف مضامينها وفسر مشاكلها.

لا يستطيع أحد أن ينكر أن حنين بن إسحاق وتلاميذه قد شكلوا مدرسة بالمعنى الدقيق للكلمة، مدرسة ساهمت في:

- اطلاع العرب المسلمين على علوم كانوا بحاجة ماسة إليها مثل

الطب والفلسفة والرياضيات.
- إتاحة الفرصة للعرب في تأدية رسالتهم في تطور الثقافة الإنسانية.
- إتاحة الفرصة للغة العربية باتساع مجالات مفرداتها العلمية.
- تطوير الأدب العرب شكلا ومضمونا.

هوامش:

1- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، القاهرة، مطبعة السعادة، ط1، 1931، 119/1.

2- لمزيد من التفاصيل، ينظر:محمد بن عبد الرحمن، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، بيروت،منشورات عويدات، 1988، 196-199.

3- يؤكد ابن النديم أن "أبا جعفر المنصور كان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم... وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية" ينظر: ابن النديم، الفهرست، بيروت، دار الكتب العلمية، 112.
وذكر ابن النديم "أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات...
وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إليه يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم. فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم: الحجاج بن مطر وابن البطريق... فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله: ابن النديم، ،م س 243.

4- كان جورجيوس (المتوفى عام 160هـ/777م) رئيس أطباء جند سابور عالما باليونانية والفارسية. وقد ترجم الكتب الطبية من اليونانية والفارسية إلى العربية.
* قد اتفق على هذا التقسيم العديد من الدارسين: ينظر أورنك زيب الأعظمي، حركة الترجمة في العصر العباسي، بيروت، دار الحرف العربي 2005.

5- ينظر أحمد بن أبي أصيعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء،175/1.

6- أبو القاسم أحمد بن صاعد، طبقات الأمم، 75-76.

7- لمزيد من التفاصيل، ينظر: أورنك زيب الأعظمي، حركة الترجمة في العصر العباسي، بيروت، دار الحرف العربي،2005 ص 28-36.

8- ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي.

9- لمزيد من التفاصيل ينظر: رشيد الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي، طرابلس، 1982.
10- كارل بروكلمان، م.س 91/4.
11- ينظر، محمد عبد الرحمن، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، 216.
12- محمد عبد الرحمن، م.س217.
13- نفسه.
14- ينظر: سليم طه التكريتي،بيت الحكمة في بغداد، مجلة المورد المجلد 8 العدد 4، 206،1979.
15- نسبة إلى عباد (يكسر الباء وفتح الباء الخفيفة) وهي من بطون القبائل العربية التي تنصرت في القرون الأولى للمسيحية. كانت تنتمي إلى كنيسة الشرق المسماة بالنسطورية.
16- الحيرة مدينة قديمة شهيرة وعاصمة اللحميين في جنوب العراق. فلقد سكنوها منذ القرن الثالث الميلادي وكلفهم الفرس الساسانيون بحراسة الحدود ضد هجمات الروم على بلاد ما بين النهرين. وهي من أشهر المدن العربية في القرن الثلاثة الأولى قبل الإسلام.
17- كانت الصيدلة، خلال هذه الفترة تعني صناعة العقاقير من الحشائش والنباتات وبيعها بطريقة تستوجب الحنكة والدراية بأمور الطب.
18- ابن أبي صبيعة، طبقات الأطباء،135/2.
19- كارل بروكلمان، م.س،103.
20- أحمد أمين، ضحى الإسلام،192.
21- لمزيد من التفاصيل ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 137-107/4.
22- لمزيد من التفاصيل ينظر: إبراهيم أحمد الشياب، حركة الترجمة في عصر المأمون، مجلة "علوم إنسانية" العدد 2009،43، 15-17.
23- القفطي، م.س 171.
24- سليم طه التكريتي، م.س، 200.
25- ينظر: عبد الرحمن بدري، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.
26- نقلا عن إبراهيم أحمد الشياب، م.س18.
27- ابن النديم، م.س 258.

28- البهاء ألعاملي، الكشكول، مطبعة طاهر الزاوي، 388/1.
29- كان حنين يضيف بعض الشروح إلى ترجماته (يسجلها في الحواشي وذلك بغية إفهام القارئ بعض القضايا الغامضة).

البـيـبلـيوغـرافـيا:

- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، القاهرة، مطبعة السعادة، ط1، 1931.
- محمود عبد الرحمن، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، منشورات عويدان، 1988.
- ابن النديم محمد بن إسحاق، الفهرست، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1978.
- أورتك زيب الأعظمي، حركة الترجمة في العصر العباسي، بيروت، دار الحرف العربي، 2005.
- أحمد بن أبي أصبيعة، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، بيروت، 1965.
- سليم طه التكريتي، بيت الحكمة في بغداد، مجلة "المورد" المجلد 8، العدد 4، 1979.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار،دار المعرف بمصر، 1969.
- القفطي جمال الدين، أخبر العلماء في أخبار الحكماء، القاهرة،1326هـ.
- أبو القاسم أحمد بن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، بيروت، المكتبة الكاثوليكية، 1912.
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربي.
- رشيد ألجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي، طرابلس، 1982.
- إبراهيم أحمد الشايب، حركة الترجمة في عصر المأمون، مجلة "علوم إنسانية، العدد 43، عام 2009.
- عبد الرحمن بدري، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، بيروت، دار القلم، 1980.